الفصل الرابع

الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل

س ١٤٤: علام عُطِف قول الإمام الطحاوي: " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى.. "؟.

ج: قوله: "وإن محمداً" بكسر الهمزة عطفاً على قوله: " إن الله واحد لا شريك له "لأن الكل معمول القول، أعني: قوله: "نقول في توحيد الله".

س ١٤٥: بين فضل العبودية جملةً وفضلها لعبد الله محمد بن عبد الله ﷺ في ضوء قول الطحاوي: " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى.. "؟.

ج: اعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية، ازداد كماله، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر الله نبيه باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾.

وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول

المسيح عليه السلام يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: "اذهبوا إلى محمد، عبد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

س ١٤٦: ما الطريقة المشهورة عند أهل الكلام في تقرير نبوة الأنبياء؟.

ج: الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر هي تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك.

س ١٤٧: بم تعرف نبوة الأنبياء؟.

ج: تعرف نبوة الأنبياء بالمعجزات وبدلائل عقلية أخرى كثيرة، وبقرائن أحواله وأفعاله.

س ١٤٨: هل لك بذكر بعض الدلائل والقرائن التي يعرف بها الصادق من الكاذب في دعوى النبوة؟.

ج: لا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتُعَرِّفُ بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه:

لو لم تكن فيه آيات مبينةٌ
كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به، وما يخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده.

بل كل شخصين ادعيا أمراً: أحدهما صادق والآخر كاذب، لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عن الله كذاباً".

ولهذا قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

فالكهان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من المغيبات ويكون صدقاً، فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن مَلَكٍ، وليسوا بأنبياء. ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صياد: " قد خبأت لك خبيئاً " وقال: الدخ قال له النبي ﷺ: "اخسأ فلن تعدو قدرك". يعني إنما أنت كاهن. وقد قال للنبي ﷺ: يأتيني صادق وكاذب. وقال: أرى عرشاً على الماء، وذلك هو عرش الشيطان، وبين أن الشعراء يتبعهم الغاوون، والغاوي: الذي يتبع هواه وشهوته، وإن كان ذلك مضراً له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله، علم علماً يقينياً أنه ليس بشاعر ولا كاهن.

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، أو علم النحو والطب والفقه وغير ذلك.

س ١٤٩: قال الشارح رحمه الله: "ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري " وضح هذا المعنى؟.

ج: النبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي

أشرف العلوم وأشرف الأعمال. فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟!.

ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، كما يعرف الرجل رضى الرجل وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾.

وقد قيل: ما أسر الإنسان سريرةً إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن به من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله؟! كيف يخفى صدق هذا من كذبه؟! وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟!.

س ١٥٠: عدد أربعة من (الأدلة العقلية) على صدق الرسول ﷺ وما احتف برسالته من قرائن تدل على صدقه؟.

ج: ١ ـ قصته ﷺ مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، لما كانت تعلم من صدق النبي ﷺ أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحي: "إني خشيت على نفسي، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق".

٢ ـ وكذلك قال النجاشي لما استخبرهم عما يُخبِر به، واستقرأهم القرآن فقرؤوه عليه: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة".

٣ ـ وكذلك ورقة بن نوفل، لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، كان ورقة قد تنصر وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: "أي عم اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺ بما رأى، فقال: هذا هو الناموس[1] الذي كان يأتي موسى".

---

(١) الناموس: صاحب السر، والمراد به جبريل عليه السلام.

٤ ـ وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفةٍ من قريش في تجارةٍ إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار:

١ - سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟.

فقالوا: لا.

٢ - قال: هل قال هذا القول أحد قبله؟.

فقالوا: لا.

٣ - وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟.

فقالوا: نعم.

٤ - وسألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟.

فقالوا: ما جربنا عليه كذباً.

٥ - وسألهم: هل اتبعه ضعاف الناس أم أشرافهم؟.

فذكروا أن الضعفاء اتبعوه.

٦ - وسألهم: هل يزيدون أم ينقصون؟.

فذكروا أنهم يزيدون.

٧ - وسألهم: هل يرجع أحدٌ منهم عن دينه سخطةً له بعد أن يدخل فيه؟.

فقالوا: لا.

٨ - وسألهم: هل قاتلتموه؟.

قالوا: نعم.

٩ - وسألهم: عن الحرب بينهم وبينه.

فقالوا: يُدَالُ علينا مرة، ونُدَالُ عليه أخرى.

١٠ - وسألهم: هل يَغْدِر؟.

فذكروا أنه لا يغدر.

١١ ـ وسألهم: بماذا يأمركم؟.

فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الأدلة، فقال:

١ ـ سألتكم: هل كان في آبائه من ملك؟ فقلتم: لا.

قلت: لو كان في آبائه ملك، لقلت: رجل يطلب ملك أبيه.

٢ ـ وسألتكم: هل قال هذا القول فيكم أحدٌ قبله؟ فقلتم: لا.

فقلت: لو قال هذا القول أحدٌ قبله، لقلت: رجلٌ ائتم بقولٍ قيل قبله.

٣ ـ وسألتكم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم: لا.

فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب، فيكذب على الله.

٤ ـ وسألتكم: أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم؟ فقلتم: ضعفاؤهم.

وهم أتباع الرسل، يعني في أول أمرهم.

٥ ـ ثم قال: وسألتكم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلتم: يزيدون.

وكذلك الإيمان حتى يتم.

٦ ـ وسألتكم: هل يرتد أحدٌ منهم عن دينه سخطةً له بعد أن يدخل فيه؟ فقلتم: لا.

وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلاً ثم ينكشف.

٧ ـ وسألتكم: كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول.

وكذلك الرسل تبتلى، وتكون العاقبة لها.

٨ ـ قال: وسألتكم: هل يغدر؟ فقلتم: لا.

وكذلك الرسل لا تغدر.

وهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم، أنه تارةً ينصرهم وتارةً يبتليهم، وأنهم لا يغدرون، علم أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء، لينالوا درجة الشكر والصبر.

٩ ـ قال: وسألتكم: عما يأمر به؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، ويأمركم بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، وهذه صفة نبي.

وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك، لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين.

وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب، وهو حينئذٍ كافر من أشد الناس بغضاً وعداوةً للنبي ﷺ.

قال أبو سفيان بن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقناً بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله عليّ الإسلام وأنا كاره.

س ١٥١: في استدلال الناس على نبوة الأنبياء بقرائن أحوالهم وأفعالهم، ما يفيد أن ذلك يزيد بتظافر الأدلة، وضح ذلك؟.

ج: نعم، فما يحصل في القلب بمجموع أمور، قد لا يستقل بعضها به، بل ما يحصل للإنسان من شبع وري وشكر وفرح وغم بأمور مجتمعة، لا يحصل ببعضها، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر.

وكذلك العلم بخبر من الأخبار، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن، ثم الآخر يقويه، إلى أن ينتهي إلى العلم، حتى يتزايد ويقوى، وكذلك الأدلة على الصدق والكذب، ونحو ذلك.

س ١٥٢: مما يؤيد صدق الأنبياء أن الله أبقى بعض الآثار الدالة على صدقهم، اذكر بعض هذه الآثار؟.

ج: نعم، فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة.

* كثبوت الطوفان.

* وإغراق فرعون وجنوده.

* ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبياً بعد نبي في سورة الشعراء، كقصة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

وبالجملة، فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول: إنه رسول الله، وأن أقواماً اتبعوهم، وأن أقواماً خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم، وهو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها.

ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم، من ملوك الفرس، وعلماء الطب، كبقراط، وجالينوس وبطليموس وسقراط وأفلاطون وأرسطو، وأتباعه.

س ١٥٣: نحن اليوم نعلم بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علماً يقيناً أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة، اذكر هذه الوجوه؟.

ج: ١ ـ منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم.

٢ ـ ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم، وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، كغرق فرعون، وغرق قوم نوح، وبقية أحوالهم، عرف صدق الرسل.

٣ ـ ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن ما جاؤوا به من الرحمة والمصلحة والهدى والخير، ودلالة

الخلق على ما ينفعهم، ومنع ما يضرهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

س ١٥٤: إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تعالى، كيف يكون ذلك؟.

ج: إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جحد للرب بالكلية وإنكار.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمدٌ عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتري على الله، ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك، حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به، ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن حاجة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله، وأبطل شرائع أنبيائه، وبدلها، وقتل أولياءه، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين.

فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم، ولا مدبر، ولو كان له مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك، وأحكم الحاكمين؟.

ولا ريب أن الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته، والشهادة له بالنبوة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد، ونحن لا ننكر أن كثيراً من الكذابين قام في الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم أمره ولم تطل مدته، بل سلط الله عليه رسله وأتباعهم، فقطعوا دابره واستأصلوه، هذه سنة الله التي خلت من قبل.

س ١٥٥: ما الفروق بين النبي والرسول؟.

ج: ذكروا فروقاً بين النبي الرسول، وأحسنها:

* أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول.

* وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول[1].

فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

س ١٥٦: أوضح قول الشارح: "الرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها"؟.

ج: نعم، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

س ١٥٧: إرسال الرسل وخصوصاً محمد بن عبد الله ﷺ من أعظم نعم الله على خلقه، ما الدليل على ذلك؟.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

س ١٥٨: ما الدليل على ختم النبوة بمحمد ﷺ من الكتاب والسنة؟.

ج: الأدلة كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

وقوله ﷺ: "مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، وترك منه

---

(١) ويُعرّف النبي والرسول بتعاريف منها:
النبي: إنسان، حر، ذكر، أوحى الله إليه بشرع سابق وأمر بتبليغه.
الرسول: إنسان، حر، أوحى الله إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه.

موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان، وختم بي الرسل"، خرجاه في الصحيحين.

وقال ﷺ: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمَيَّ، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي". متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن ثوبان، قال رسول الله ﷺ: "وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي".

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون".

س ١٥٩: ما معنى قول الطحاوي: "وإمام الأتقياء"؟.

ج: الإمام الذي يؤتم به، أي: يقتدون به، والنبي ﷺ إنما بعث للاقتداء به، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، وكل من اتبعه واقتدى به، فهو من الأتقياء.

س ١٦٠: استدل على قول الإمام الطحاوي في وصف المصطفى ﷺ: "وسيد المرسلين"؟.

ج: قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع" رواه مسلم.

وفي أول حديث الشفاعة: "أنا سيد الناس يوم القيامة".

وروى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم".

س ١٦١: قال ﷺ: " لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله ". خرجاه في الصحيحين. وقال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر "، وهذا فيه إشكال، فكيف يجمع بينهما؟.

ج: ١ ـ أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم وقال: أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا!، فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا. لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس، كان مذموماً بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول، وعلى هذا يحمل أيضاً قوله ﷺ: "لا تفضلوا بين الأنبياء " إن كان ثابتاً، فإن هذا قد روي في نفس حديث موسى، وهو في البخاري وغيره، لكن بعض الناس يقول: إن فيه علة بخلاف حديث موسى، فإنه صحيح لا علة فيه باتفاقهم.

٢ ـ وقد أجاب بعضهم بجواب آخر، وهو: أن قوله ﷺ: " لا تفضلوني على موسى"، وقوله: "لا تفضلوا بين الأنبياء "، نهي عن التفضيل الخاص، أي: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر "، فإنه تفضيل عامٌ، فلا يمنع منه، وهذا كما لو قيل: فلان أفضل أهل البلد، لا يصعب على أفرادهم، بخلاف ما لو قيل: لأحدهم: فلان أفضل منك.

وقد أجاب بهذا الطحاوي يرحمه الله في شرح معاني الآثار.

س ١٦٢: روي عن النبي ﷺ أنه قال: " لا تفضلوني على يونس " وفسره

بعضهم، أن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت، كقرب النبي ﷺ من الله ليلة المعراج، بين الحق والصواب في ذلك؟.

(ج) قال الشارح: أما ما يروى أن النبي ﷺ قال: " لا تفضلوني على يونس " وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالاً جزيلاً، فلما أعطوه، فسره بأن قرب يونس من الله، وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج، وعدوا هذا تفسيراً عظيماً.

وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظاً ومعنى. فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يُعتمد عليها، وإنما اللفظ الذي في الصحيح: " لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى ". وفي رواية: " من قال: إني خير من يونس بن متى، فقد كذب ".

وهذا اللفظ يدل على العموم، أي لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه. فمقام الذي أسري به إلى ربه، وهو مقرب معظم ليس كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب!، فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب.

فانظر إلى هذا الاستدلال بهذا المعنى المحرف للفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى على خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه، التي تزيد على ألف دليل.

س ١٦٣: لِمَ نهى النبي ﷺ عن تفضيل العبد نفسه على يونس؟.

(ج) الله تعالى أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه، فقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾، فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه، ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾،

كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم آدم، قد قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾، وآخرهم وأفضلهم وخاتمهم وسيدهم: محمد ﷺ كان يقول في حديث الاستفتاح: " . . وأنا عبدك ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي . . " رواه مسلم.

وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: " أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد ".

فالله تعالى نهى أن يُفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم!، فلهذا قال: " لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى". فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفخر على يونس.

س ١٦٤: بم فسر الشارح قوله ﷺ: " من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب "؟.

ج: قال الشارح: وقوله: " من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب"، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير أنقص، فيكون كاذباً، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا، فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، وإن كان ﷺ معصوماً من الشرك، لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال.

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله.

س ١٦٥: لم أخبر الرسول ﷺ عن نفسه بأنه سيد ولد آدم؟.

ج: قال الشارح: وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله: "ولا فخر" كما جاء في رواية.

س ١٦٦: قال الطحاوي: " وحبيب رب العالمين "، من المقصود، ولم أورد هذا القول؟.

ج: المقصود بذلك هو الرسول ﷺ، فقد ثبت له أعلى مراتب المحبة، وأورده رداً على من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.

س ١٦٧: ما الدليل على ثبوت الخلة لنبينا محمد ﷺ ؟.

ج: صح عنه ﷺ أنه قال: " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"، وقال: " ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن ". والحديثان في الصحيح. وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.

وفي الصحيح أيضاً: " إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ".

فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم، والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة.

س ١٦٨: يستدل من يثبت الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد ﷺ بما رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي قال فيه: " إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ".

ج: هذا حديث ضعيف لا يثبت، ولا يستدل به في باب العقائد.

س ١٦٩: ما أعلى مراتب المحبة؟ ولمن ثبتت؟.

ج: أعلى مراتب المحبة، الخلة، وثبتت لإبراهيم عليه السلام ولمحمد ﷺ.

س ١٧٠: ما مراتب المحبة؟.

ج: للمحبة مراتب:

أولها: العَلاقة، وهي تعلق القلب بالمحبوب.

والثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبه، وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

الخامسة: المودة، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق، وهو الحب المفرط، الذي يخاف على صاحبه منه.

الثامنة: التتيّم، وهو بمعنى التعبد.

التاسعة: التّعبد.

العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن، يعرف حسنه بالتأمل في معانيه.

س ١٧١: هل يوصف الرب تعالى بالعشق؟ وهل يوصف به العبد في محبة ربه، ولم؟.

ج: لا يوصف الرب تعالى بالعشق، ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم. واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

س ١٧٢: هل يوصف الرب تعالى بالمحبة والخلة؟.

ج: قال الشارح: واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة، هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة، والود، والمحبة، والخلة، حسبما ورد النص.

س ١٧٣: ما حد المحبة؟.

ج: اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً. ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع، ونحو ذلك.

س ١٧٤: لم كانت كل دعوة بعد النبي ﷺ غيّ وهوى؟ وما الغي والهوى؟.

ج: لَمّا ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب.

والغيّ: ضد الرشاد.

والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة.

س ١٧٥: لو جاء المدعي للنبوة ـ بعد النبي ﷺ ـ بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة، كيف يقال بتكذيبه؟.

ج: نقول: هذا لا يتصوّر أن يوجد، وهو من باب فرض المحال، لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة، ولا تظهر أمارة كذبه في دعواه.

س ١٧٦: قال الطحاوي: " وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى.. " ما الدليل على ذلك؟.

ج: الدليل عليه، قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾.

وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضاً.

س ١٧٧: ما صحة قول مقاتل: لم يبعث الله رسولاً إلى الإنس والجن قبل الرسول ﷺ؟.

ج: هذا قول بعيد، فقد قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾. ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾.

س ١٧٨: هل في الجن رسل، أم الرسل من الإنس فقط؟.

ج: الرسل من الأنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر. وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾. يدل على أن موسى مرسل إليهم أيضاً. والله أعلم.

س ١٧٩: يستدل من قال إن في الجن رسلاً بقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، فما جوابك؟.

ج: في الاستدلال بهذه الآية الكريمة على أن في الجن رسلاً، نظر، لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي ـ والله أعلم ـ كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾. والمراد من أحدهما.

س ١٨٠: ما الدليل على بعثة النبي ﷺ إلى كافة الورى وجميع الناس؟.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها:

ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾.

ـ وقوله ﷺ: " أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة". أخرجاه في الصحيحين.

ـ وقوله ﷺ: " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " رواه مسلم.

س ١٨١: يزعم بعض النصارى أن الرسول ﷺ أرسل إلى العرب خاصة. فبم يرد عليهم؟.

ج: قول بعض النصارى: إنه رسول إلى العرب خاصة، ظاهر البطلان، فإنهم لما صدّقوا بالرسالة، لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال: إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتماً، فقد أرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام.

س ١٨٢: ما إعراب "كافة" في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾؟.

ج: اختلفوا في إعرابها على ثلاثة أقوال:

١ ـ أحدها: أنها حال من "الكاف" في "أرسلناك" وهي اسم فاعل، والتاء فيها للمبالغة، أي: إلا كافاً للناس عن الباطل.

وقيل: هي مصدر "كف" فهي بمعنى كفاً، أي: إلا أن تكف الناس كفاً، ووقوع المصدر حالاً كثيرٌ.

٢ ـ الثاني: أنها حال من "الناس"، واعترض بأن حال المجرور لا يتقدم عليه عند الجمهور، وأجيب بأنه قد جاء عن العرب كثيراً، فوجب قبوله، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله، أي: وما أرسلناك إلا للناس كافة.

٣ ـ أنها صفة لمصدر محذوف، أي: إرسالةً كافة، واعترض بما تقدم أنها لم تستعمل إلا حالاً.

س ١٨٣: ما معنى قول الطحاوي: "بالحق والهدى، وبالنور والضياء"؟.

ج: هذه أوصاف ما جاء به النبي ﷺ من الدين والشرع، المؤيد بالبراهين الباهرة، من القرآن وسائر الأدلة. والضياء: أكمل من النور، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾.

الفصل الخامس

القرآن كلام الله تعالى
ليس بمخلوق

القرآن كلام اللّه تعالى ليس بمخلوق

س ١٨٤: ما المعتقد الحق الذي دلت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة، والعقل والفطرة، في القرآن الكريم؟.

ج: المعتقد الحق الذي قال به أهل السنة في القرآن الكريم، ما ذكره الإمام الطحاوي بقوله: " وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله تعالى، وعابه، وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر ".

س ١٨٥: افترق الناس في مسألة كلام الله تعالى على أقوال، اذكرها؟.

ج: افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

١ ـ أحدها: قول الصابئة والمتفلسفة: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل الفعال[1] عند بعضهم، أو من غيره.

---

(١) العقل الفعال: عند بعض الفلاسفة؛ حركة من حركات بعض الأفلاك صدر عنها فلك القمر ونفسه والعناصر التي تحته، مع اختلاف أنواعها وصفاتها وأقدارها، وقد يطلقه بعضهم على جبريل عليه السلام. انظر (درء تعارض العقل والنقل ٩/٢٥٣، ١٠/٢١٨)

٢ ـ وثانيها: قول المعتزلة: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه.

٣ ـ وثالثها: قول الكلابية والأشاعرة: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية، كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية، كان توراةً.

٤ ـ ورابعها: قول طائفة من أهل الكلام، ومن أهل الحديث: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

٥ ـ وخامسها: قول الكرّامية: أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً.

٦ ـ وسادسها: قول أبي البركات صاحب " المعتبر" والرزاي: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته.

٧ ـ وسابعها: قول الماتريدية: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته، هو ما خلقه في غيره.

٨ ـ وثامنها: قول أبي المعالي ومن تبعه: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.

٩ ـ تاسعها: قول أئمة الحديث والسنة: أنه تعالى لم يزل متكلماً، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يُسمعُ، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً. وهذا ما دل عليه كلام الله وسنة رسوله، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

س ١٨٦: لِمَ كسر الشيخ الهمزة في قوله: " وإن القرآن كلام الله "؟.

ج: قول الشيخ رحمه الله: وإن القرآن كلام الله، " إن " بكسر الهمزة عطف على قوله: إن الله واحد لا شريك له، ثم قال: وإن محمداً عبده المصطفى وكسر همزة إن في هذه المواضع الثلاثة، لأنها معمول القول، أعني قوله في أول كلامه: نقول في توحيد الله.

س ١٨٧: ما فائدة قول الإمام الطحاوي: " كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً "؟.

(ج): هذا رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يَبْدُ منه، كما تقدم حكاية قولهم، قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله وناقة الله، يحرفون الكلم عن مواضعه، وقولهم باطل.

س ١٨٨: زعمت المعتزلة أن القرآن مخلوق، وإنما يضاف إلى الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، فبم يُرد عليهم؟.

(ج): هذا تحريف للكلم عن مواضعه، وهو قول باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى، معان، وأعيان.

فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله وناقة الله. بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته وعلوه، وقهره، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

س ١٨٩: من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ وعلام استدل به، ولم؟.

(ج): استدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة، على كلام الله تعالى. رداً على المعتزلة، فالوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾. فكان عباد العجل مع كفرهم، أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضاً. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾. فعلم أن نفي رجوع القول، ونفي التكلم، نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

س ١٩٠: ما أهم شبهة تحتج بها المعتزلة على نفي كلام الرب تعالى، وبم يرد عليهم؟.

(ج): غاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم من الكلام التشبيه والتجسيم.

فيقال لهم: إذا قلنا: إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله، انتفت شبهتهم،

ألا ترى أنه قال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾. فنحن نؤمن أنها تتكلّم، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وكذلك تسبيح الحصى والطعام، وسلام الحجر، كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة، المعتمد على مقاطع الحروف.

س ١٩١: ما معنى قول الإمام الطحاوي: " منه بدا بلا كيفية قولاً " وإلامَ أشار بقوله هذا؟.

ج: أشار بقوله هذا إلى إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق بجلاله.

ومعنى قوله: منه بدا بلا كيفية قولا، أي ظهر منه، ولا يدرى كيفية تكلمه به، وأكد هذا المعنى بقوله: "قولاً " أتى بالمصدر المعرف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت للحقيقة النافي للمجاز في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!.

س ١٩٢: في أي سياق أورد الشارح رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؟.

ج: أورد هذه الآية في سياق إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق به والرد على المعتزلة. قال الشارح: ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: وكلّمَ اللهَ موسى، بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله، فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، فبهت المعتزلي!.

س ١٩٣: ما الأدلة من الكتاب والسنة على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم؟.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل

جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره عليهم في ديارهم" رواه ابن ماجه[1] وغيره.

ففي الحديث إثبات صفة الكلام، وإثبات الرؤية، وإثبات العلو، وكيف يصح مع هذا أن يكون كلام الرب كله معنى واحداً!.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، فأهانهم بترك تكليمهم. والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، هو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا هم وأعداؤه سواءً، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث[2]. فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضله، الذي ما طابت لأهلها إلا به.

س ١٩٤: من استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ وعلى ماذا استدل به، ولم؟.

ج: استدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام لله

---

(١) إسناده ضعيف، وفي سنده أبو عاصم العباداني لين الحديث كما في التقريب.

(٢) منها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. . . " الحديث.

تعالى، ورداً على المعتزلة الذين ينفون هذه الصفة.

وفي الآية بيان أن الله أهانهم بترك تكليمهم. والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، هو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا هم وأعداؤه سواءً، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

س ١٩٥: من الذي يستدل بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وعلام يستدل بها؟.

ج: تستدل المعتزلة بهذه الآية على نفي صفة الكلام، والقول بخلق القرآن.

قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم "كل" فيكون مخلوقاً!! فمن أعجب العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل[1] وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقه، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٩٦: لم استدل أهل السنة والجماعة بقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾؟.

ج: استدل أهل السنة والجماعة بهذا الدليل لإثبات صفة الكلام. رداً على المعتزله الذين نفوا هذه الصفة عن الخالق تعالى.

---

(١) انظر تعريفه، ص ٤٠.

قال الشارح عند إيراد الآية: إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقه، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٩٧: من الذي قال في صفة الكلام: أن الله تعالى متكلم بكلام يقوم بغيره، وبم يرد عليه، وما خطورة هذا القول؟.

ج: قالت المعتزلة هذا القول لتنفي صفة الكلام عن الله تعالى، وتقول بخلق القرآن، وأنه مخلوق خلقه الله في غيره. وكيف يصح أن يكون متكلماً بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك، للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات، ولا يفرق حينئذٍ بين نطق وأنطق، وإنما قالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ﴾، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره، زوراً كان أو كذباً، أو كفراً، أو هذياناً!! تعالى الله عن ذلك، وقد طرد ذلك الاتحادية فقال ابن عربي:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصير!، لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره! ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره، من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.

س ١٩٨: كيف ألزم الإمام عبد العزيز المكي من قال: إن القرآن مخلوق في أي شيء من مخلوقاته، أو هو قائم بغيره من مخلوقاته؟.

ج: ألزم الإمام عبد العزيز المكي بشراً المريسي بين يدي المأمون، بعد أن تكلم معه ملتزماً أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله، ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال.

قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟.

فقال بشر: اسأل أنت، وطمع فيَّ.

فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث، لابد منها:

١ ـ إما أن تقول: إن الله خلق القرآن في نفسه.

٢ ـ أو خلقه قائماً بذاته ونفسه.

٣ ـ أو خلقه في غيره؟.

قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها. وحاد عن الجواب.

فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودع بشراً، فقد انقطع.

فقال عبد العزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا محال، لأن الله لا يكون محلاً للحوادث المخلوقة، ولا يكون منه شيء مخلوقاً.

وإن قال: خلقه في غيره، فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره، فهو كلامه.

وإن قال: خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا محال، لا يكون الكلام إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً، علم أنه صفة لله.

س ١٩٩: استدلت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ على القول بخلق القرآن، رد هذا القول؟.

ج: قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم "كل" فيكون مخلوقاً!! فمن أعجب العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما

يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقه، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وعموم "كل" في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾، ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، وذلك لأن المراد: تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادةً، وما يستحق التدمير، وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام، إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها، ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، أي: كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله تعالى، فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم الإشارة إلى هذا المعنى، بل نفس ما استدلوا به يدل عليهم، فإذا كان قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، مخلوقاً، لا يصلح أن يكون دليلاً.

س ٢٠٠: تستدل المعتزلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾، على القول بخلق القرآن، وتقول: جعلناه، أي خلقناه، فَنَد هذا القول؟.

(ج): أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ فما أفسده من استدلال!.

١ ـ فإن "جعل" بمعنى "خلق" يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

٢ ـ وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى "خلق" قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ ونظائره كثيرة، فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

س ٢٠١: من الذي يستدل بقوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، مع بيان القول الصحيح الحق؟.

(ج): تستدل المعتزلة بها على أن القرآن مخلوق، ويستدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وما أفسد استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة، فسمعه موسى منها!، وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ والنداء: هو الكلام من بعدٍ، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، أي: أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت، يكون "من البيت" لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهل قال: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ غير رب العالمين؟.

ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله، لكان قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ

ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله!.

س ٢٠٢: ما قول المعتزلة إذا أُلزموا بقوله تعالى، حكاية عن فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، أن فرعون لم يقل باطلاً على مذهبكم في الكلام وقيامه بغير الله كخلقه في الشجرة، إذ كل من الكلامين مخلوق قاله غير الله؟.

ج: نعم هذا إلزام لهم، لكنهم فرقوا بين الكلامين على أصلهم الفاسد: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون!! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله. وسيأتي الكلام على مسألة أفعال العباد، إن شاء الله تعالى.

س ٢٠٣: مما تستدل به المعتزلة على القول بخلق القرآن، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾، وهذا يدل على أن الرسول أحدثه. فبم تجيب؟.

ج: الجواب عن ذلك من عدة أوجه:

١ ـ قيل: ذكر الرسول معرَّف أنه مبلغ عن مرسله، لأنه لم يقل: إنه قول مَلَكٍ أو نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنشأه من جهة نفسه.

٢ ـ وأيضاً: فالرسول في إحدى الآيتين جبريل، وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

٣ ـ وأيضاً: فقوله: رسول أمين، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه، ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله.

٤ ـ وأيضاً: فإن الله كفر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعل قول محمد بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول: إنه قول بشر، أو جني، أو مَلَك، والكلام كلام من قاله مبتدئاً لا من قاله مبلغاً. ومن سمع قائلاً يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " قال: هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قال: هذا كلام الله، إن كان عنده خبر ذلك، وإلا قال: لا أدري كلام من هذا؟ ولو أنكر عليه أحد ذلك لكذبه. ولهذا من سمع من غيره نظماً أو نثراً، يقول له: هذا كلام من؟ أهذا كلامك أو كلام غيرك؟.

س ٢٠٤: هل اتفق أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الأربعة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: وبالجملة فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات أم أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً إذا شاء، ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم[1].

س ٢٠٥: ما مراد بعض المعتزلة إذا أطلقوا أن القرآن غير مخلوق؟.

ج: قد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلق مفترى مكذوب، بل هو حق وصدق، ولا ريب أن هذا المعنى منتفٍ باتفاق المسلمين.

والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة سُئِلُوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوباً مفترى مما لا ينازع فيه مسلم في بطلانه.

---

(١) هذا قول مرجوح، والحق فيما قاله سلف هذه الأمة وإليه أشار الشارح بقوله: " لم يزل متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة".

س٢٠٦: ما مصدر التلقي عند أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم، في باب العقائد؛ التوحيد والصفات والقدر؟.

ج: قال الشارح: ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه من كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن العقل دلهم عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرائع.

ولو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه، فرق بها بينهم:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

س٢٠٧: ما معتقد الإمام أبي حنيفة في القرآن؟.

ج: قال الشارح: والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم، وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في "الفقه الأكبر" فإنه قال: والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وما ذكره الله في القرآن حكايةً عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله إخبار عنهم، كلام الله غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى: فلما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا. انتهى.

س٢٠٨: ماذا يفهم من قول الإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر: ولما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو صفاته؟.

ج: قال الشارح: فقوله: ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته. يعلم منه أنه حين جاء كلمه، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً

يقول: يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه: أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يُسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء، كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره.

س ٢٠٩: على من رد الإمام بقوله: كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل؟.

ج: هذا رد على من يقول: إنه حدث له وصف الكلام بعد أن لم يكن متكلماً.

س ٢١٠: تقول بعض الفرق شيئاً من الحق وتخلطه بباطل في مسألة الكلام، فما موقف السُّنّيّ من ذلك؟.

ج: قال الشارح: وبالجملة: فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء، وأنه يتكلم شيئاً بعد شيء، فهو حق يجب قبوله.

وما يقول به من يقول: إن كلام الله قائم بذاته[1]، وأنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف، فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب، والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما.

س ٢١١: كيف يُرد على من قال لمن أثبت صفة الكلام لله: يلزم أن تكون الحوادث قامت به؟.

ج: إذا قالوا لنا: يلزم أن تكون الحوادث قامت به.

قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضاً مع صريح العقل.

ولا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس، وأخبروهم أن الله قال ونادى وناجى ويقول، لم يُفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي

---

(١) هذا قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية.

أفهموهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: "ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يتلى"، ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه، لوجب بيانه، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإنما قام الكلام بغيره، وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذراً من التشبيه فلا يثبتوا صفةً غيره، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا. قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات. وهل يعقل قادر لا تقوم به القدرة، أو حي لا تقوم به الحياة.؟!.

س٢١٢: من الذي استدل بقول النبي ﷺ: " أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر " وعلام استدل به؟.

ج: استدل أهل السنة والجماعة بهذا الدليل وهو قوله ﷺ: " أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر " على إثبات صفة الكلام لله تعالى فهل يقول عاقل: إنه ﷺ عاذ بمخلوق! بل هذا كقوله ﷺ: " أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك " وكقوله: " أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ". وكقوله: " وأعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا ". كل هذه من صفات الله تعالى، وهذه المعاني مبسوطة في مواضعها، وإنما أشير إليها هنا إشارة.

س٢١٣: ما قول كثير من متأخري الحنفية في كلام الله، وبماذا رد الإمام الشارح قولهم؟.

ج: قال الشارح: وكثير من متأخري الحنفية على أنه معنى واحد، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل، في الدلالات لا في المدلول، وهذه العبارات مخلوقة، وسميت " كلام الله " لدلالتها عليه، وتأديه بها، فإن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرية فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام.

قالوا: وتسمى هذه العبارت كلام الله مجازاً.

وهذا كلام فاسد، فإن لازمه أن معنى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ﴾ هو معنى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين! ومعنى سورة الإخلاص هو معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ وكلما تأمل الإنسان هذا القول، تبين له فساده وعلم أنه مخالف لكلام السلف.

والحق أن التوراة والإنجيل والزبور من كلام الله حقيقةً، وكلام الله لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك. قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾. ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، لما حرم على الجنب والمحدث مسه، ولو كان ما يقرؤه القارئ ليس كلام الله، لما حرم على الجنب قراءة القرآن.

س ٢١٤: قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر": كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف. بين هذا القول؟.

ج: نعم هو في هذه المواضع كلها حقيقة.

وإذا قيل: المكتوب في المصحف كلام الله، فهم منه معنى حقيقي.

وإذا قيل: فيه خط فلان وكتابته، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: فيه مداد قد كتب به، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: المداد في المصحف، كانت الظرفية فيه غير الظرفية المفهومة من قول القائل: فيه السماوات والأرض، وفيه محمد وعيسى، ونحو ذلك. وهذان المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: فيه خط فلان الكاتب، وهذه المعاني الثلاثة مغايرة لمعنى قول القائل: فيه كلام الله. ومن لم ينتبه للفروق بين هذه المعاني، ضل، ولم يهتد للصواب.

وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ، والمقروء الذي هو قول الباري، ومن لم يهتد له فهو ضال أيضاً، ولو أن إنساناً وجد في ورقة مكتوباً:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

من خط كاتب معروف لقال: هذا كلام لبيد حقيقة، وهذا كلام فلان حقيقة، وهذا كل شيء حقيقة، وهذا حبر حقيقة، ولا تشتبه هذه الحقيقة بالأخرى.

وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه، أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع، علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قال السامع، فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسومٌ، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها.

س ٢١٥: ما الفرق بين كون القرآن في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو في كتاب مكنون، هل يعني هذا أنه أنزل على أولئك؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة، بل هو الذي يكتب بلا واسطة ذهن ولا لسان، والفرق بين كونه في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو في كتاب مكنون: واضح.

فقوله عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ أي: ذكره ووصفه والإخبار عنه، إذ القرآن أنزله الله على محمد، ولم ينزله على غيره أصلاً، ولهذا قال: "في الزبر" ولم يقل في المصحف، ولا في الرَّق، لأن " الزبر" جمع "زبور" و " الزَّبْرُ " هو: الكتابة والجمع، فقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾، أي: مزبور الأولين، ففي نفس اللفظ واشتقاقه ما يبين المعنى المراد، ويبين كمال بيان القرآن وخلوصه من اللبس، وهذا مثل قوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ أي ذكره بخلاف قوله: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ أو ﴿لَّوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أو ﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ لأن العامل في الظرف إما أن يكون من الأفعال العامة، مثل الكون والاستقرار والحصول ونحو ذلك، أو يُقدَّر: مكتوب في كتاب، أو في رقٍّ.

والكتاب: تارةً يذكر ويراد به محل الكتابة، وتارة يذكر ويراد به الكلام المكتوب، ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب، وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه، فإن تلك إنما يُكتب ذكرها، وكلما تدبر الإنسان هذا المعنى، وضح له الفرق.

س ٢١٦: ما حقيقة كلام الله تعالى الخارجية، عندما يسمعه السامع، أو يقرؤه القارئ، أو يكتبه الكاتب؟.

ج: حقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يُسمع منه، أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع، علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قال السامع، فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسومٌ، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها، لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه عن مبلغه عن الله.

والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل الحقيقة.

ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله: فقد خالف الكتاب والسنة، وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالاً.

س ٢١٧: على من رد الطحاوي بقوله عن كلام الله: " منه بدا "؟.

ج: رد الطحاوي بقوله هذا على من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه، فإن الطحاوي رحمه الله يقول: كلام الله منه بدا. وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون منه بدا وإليه يعود.

وإنما قالوا: منه بدا، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدا الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: "منه بدا" أي: هو المتكلم به، فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾.

س ٢١٨: ما معنى قول السلف في القرآن: " . . وإليه يعود "؟.

ج: معنى قول السلف وإليه يعود: أنه يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار[1].

س ٢١٩: لم قال الطحاوي في القرآن وأنه بدا من الله: " بلا كيفية "؟.

ج: قول الطحاوي يرحمه الله: " بلا كيفية " أي: لا تعرف كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز.

س ٢٢٠: ما معنى قول الإمام الطحاوي: " وأنزله على رسوله وحياً "؟.

ج: أي: أنزله إليه على لسان المَلَك، فسمعه المَلَكُ جبريل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من المَلَكِ، وقرأه على الناس، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى.

س ٢٢١: يحتج من ينفي صفة العلو لله تعالى، وإنزال القرآن من الله العلي، في كثير من الآيات أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر، وإنزال الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام. فكيف الجواب؟.

ج: ١ ـ أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه من الله، قال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وقال

---

(١) روى ابن ماجه بسنده عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: " يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية.. " الحديث، وإسناده صحيح ورجاله ثقات، قاله الحاكم ووافقه الذهبي.

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾.

٢ ـ وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ والسماء العلو، وقد جاء في مكان آخر: أنه منزل من المزن، والمزن السحاب، وفي مكان آخر: أنه منزل من المعصرات.

٣ ـ وإنزال الحديد والأنعام مطلقٌ، فكيف يشتبه هذا الإنزال بهذا الإنزال، وهذا الإنزال بهذا الإنزال؟! فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل: إنه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود، والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يقال: أنزل ولم ينزل، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها عند الوطء، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى سفل، وعلى هذا فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وجهين:

أحدهما: أن تكون "من" لبيان الجنس.

الثاني: أن تكون "من" لابتداء الغاية، وهذان الوجهان يُحْتَملان في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾.

س ٢٢٢: إلى أي شيء أشار الطحاوي بقوله: " وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً"؟.

ج: الإشارة إلى ما ذكره من التكلم به على الوجه المذكور وإنزاله، أي: هذا قول الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وهم السلف الصالح، وأن هذا حق وصدق.

س ٢٢٣: على من رد الطحاوي بقوله: " وأيقنوا أنه كلام الله تعالى على الحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية "؟.

ج: رده على المعتزلة وغيرهم بهذا القول ظاهر.

وفي قوله بالحقيقة، رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله[1] لم يُسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلامٌ حقيقةً، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلماً، ولزم أن يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب: هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسمي أحد " أخرس" لكن عندهم أن المَلَكَ فهم منه معنى قائماً بنفسه، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام كالهواء الذي هو دون المَلَكِ هذه العبارة.

س ٢٢٤: وضح لنا قول الأشاعرة: أن كلام الله معنىً واحداً قائماً بالذات، ثم بين فساد قولهم؟.

ج: قولهم عن القرآن إنه معنى قام بذات الله لم يُسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلامٌ حقيقةً، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلماً، ولزم أن يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب: هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسمي أحد " أخرس" لكن عندهم أن المَلَكَ فهم منه معنى قائماً بنفسه، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام

(١) هذا قول الأشعرية والماتريدية.

كالهواء الذي هو دون المَلَكِ هذه العبارة.

١ ـ ويقال لمن قال: أنه معنى واحد: هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه؟.

فإن قال: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله! وفساد هذا ظاهر.

وإن قال: بعضه، فقد قال: يتبعَّض، وكذلك كل من كلمه الله، أو أنزل إليه شيئاً من كلامه.

٢ ـ ولما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ولما قال لهم: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ وأمثال ذلك: هل هذا جميع كلامه أو بعضه؟.

فإن قال: إنه جميعه، فهذا مكابرة.

وإن قال: بعضه، فقد اعترف بتعدده، فبطل بذلك قوله: أنه معنى واحد قائم بالرب.

س ٢٢٥: ما مذاهب الناس في مسمى الكلام والقول عند الأطلاق؟.

ج: للناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق: أربعة أقوال:

١ ـ أحدها: قول السلف، أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن معاً.

٢ ـ الثاني: قول جماعة من المعتزلة وغيرهم، أنه اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه.

٣ ـ الثالث: قول الكلابية، أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز، لأنه دال عليه.

٤ ـ الرابع: قول بعض المتأخرين من الكلابية: أنه مشترك بين اللفظ والمعنى وللكلابية قول ثالث: أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين.

س ٢٢٦: من الذي يستدل بقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وعلام استدل به؟ ثم بين تهافت وفساد هذا الاستدلال؟.

(ج): تستدل بهذا القول الأشاعرة وغيرهم ممن زعموا أن الكلام معنى واحد، وهذا قول فاسد.

١ ـ ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه، وتلقيه بالقبول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل: إنه مصنوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!.

٢ ـ وقيل: إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد. وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه، فلا يجوز الاستدلالُ به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشئ من الناس! أَفَيُسْتَدلّ بقول نصرانيّ قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب!.

٣ ـ وأيضاً: فمعناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً، لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به، ولم يسمع منه. والكلام على ذلك مبسوط في موضعه.

(س ٢٢٧): ما وجه الشبه بين قول النصارى في اللاهوت والناسوت، وبين قول من قال: إن كلام الله هو المعنى القائم بذات الله لايمكن سماعه؟.

(ج): قال الشارح: وهنا معنى عجيب، وهو: أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وإنما النظم المسموع مخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام.

فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه!.

(س ٢٢٨): رد على من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، بأدلة شرعية من السنة؟.

(ج): يردُّ قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قوله ﷺ:

١ ـ " إن صلاتنا هذه لايصلح فيها شيء من كلام الناس ".

٢ ـ وقال: " إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة ". واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها، بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب، لا يُبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

٣ ـ وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به "، فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

٤ ـ وأيضاً ففي السنن: أن معاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: " وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ".

فبين أن الكلام إنما هو باللسان، فلفظ " القول" و " الكلام " وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى.

س ٢٢٩: متى حصل النزاع في مسمى الكلام؟.

ج: لم يكن في مسمى " الكلام" نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر.

س ٢٣٠: من زعم أن كلام الله معنىً واحد قائمٌ بنفسه، فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر! أوضح هذا المعنى؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائمٌ بنفسه تعالى، وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق، فقد قال بخلق القرآن في المعنى وهو لا يشعر،

فإن الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المتلو المسموع؟ ولا شك أن الأشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

س ٢٣١: هات دليلاً من القرآن على إبطال قول من قال: إن كلام الله هو معنى واحد قائم بنفس الرب..؟.

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المتلو المسموع؟ ولا شك أن الأشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المتلو المكتوب المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا، فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة، فإن حكاية الشيء مثله وشبهه، وهذا تصريح بأن صفات الله تعالى محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتو بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟! ويكون التالي في - زعمهم - قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف، وليس القرآن إلا سوراً مسوّرة، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة. قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾. ويكتب لمن قرأه بكل حرف منه عشر حسنات،

قال ﷺ: " أما إني لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ". وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين.

س ٢٣٢: ما حكم من قرأ القرآن في الصلاة بغير العربية؟.

ج: قال الشارح: وما ينسب إلى أبي حنيفة رحمه الله: أن من قرأ في الصلاة بالفارسية أجزأه، فقد رجع عنه، وقال: لا تجوز القراءة مع القدرة بغير العربية.

وقالوا: لو قرأ بغير العربية، فإما أن يكون مجنوناً فيداوى، أو زنديقاً فيقتل، لأن الله تكلم به بهذه اللغة، والإعجاز حصل بنظمه ومعناه.

س ٢٣٣: بين قول الطحاوي: " ومن سمعه، وقال: إنه كلام البشر، فقد كفر "؟.

ج: لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال: إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، مَلَكاً كان أو بشراً، وأما إذا أقر أنه كلام الله، ثم أوّل وحرّف، فقد وافق قول من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان، وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ: " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله " إن شاء الله تعالى.

س ٢٣٤: لم قال الإمام الطحاوي عن القرآن: " ولا يشبه قول البشر "؟.

ج: لأنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ فلما عجزوا - وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غيرُ ذي عوجٍ بلسان عربي مبين، أي: باللغة العربية.

فنفي المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف. وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي: أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآيـــة. ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ الآيـــة. ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾، وكذلك الباقي ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم.

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به، وسماع جبريل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ إلى نفي الصفات. وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ ما يرد على من ينفي الحرف، فإنه قال: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ﴾ ولم يقل بحرف أو بكلمة، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، ولهذا قال أبو يوسف ومحمد الشيباني صاحبا أبي حنيفة رحمهما الله: إن أدنى ما يجزي في الصلاة ثلاث آيات قصار، أو آية طويلة، لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك. والله أعلم.

س ٢٣٥: ما حكم من وصف الله بمعنى من معاني البشر؟.

ج: قال الإمام الطحاوي: " ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ".

س ٢٣٦: ماذا أفاد قول الإمام الطحاوي: " ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر "؟.

ج: أفاد أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفياً للتشبيه عقيب الإثبات، يعني: أنه تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلماً، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل، باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل، ودم التشبيه، والمعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً. ويأتي في كلام الشيخ: " ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه " وكذا قوله: " وهو بين التشبيه والتعطيل " أي: دين الإسلام، ولا شك أن التعطيل شر من التشبيه، لما سأذكره إن شاء الله تعالى.

وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً، بل صفات الخالق كما يليق به.

وقوله: " فمن أبصر هذا اعتبر " أي: من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف، ونفي التشبيه، ووعيد المشبهة، اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار.

الفصل السادس

الـرؤيـة

الرؤية

س ٢٣٧: من الذي أنكر رؤية أهل الجنة لربهم تعالى، ومن الذي أثبتها؟.

ج: أنكرت الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

س ٢٣٨: ما منزلة مسألة الرؤية من الدين؟.

ج: هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون.

س ٢٣٩: ما أظهر دليل يستدل به أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية، وما موقف من نفاها، منه ومن غيره؟.

ج: ذكر الطحاوي رحمه الله من الأدلة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص، ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

س ٢٤٠: ماذا جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله، ولماذا ذكره الشارح؟.

ج: هذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد! وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين رضي الله عنه والحرَّة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!.

وذكره الشارح ليبين خطر هذا النهج الفاسد في تأويل النصوص بلا دليل لما ذكر مسألة الرؤية وتأويل أهل البدع لها بلا دليل، من نقل أوعقل.

س ٢٤١: ماذا قالت المعتزلة وأهل التحريف في استدلال المثبتين للرؤية في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾؟.

ج: قالوا بعدم الرؤية، وأولوا الآية بلا دليل، فقالوا: المعنى منتظرة ثواب ربها؟! فنفوا ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله وما أجمعت عليه الأمة.

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة " إلى " الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

س ٢٤٢: للنظر عدة استعمالات في القرآن ما هي، وفي أي سياق ذكرها الشارح يرحمه الله؟.

ج: للنظر عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه:

١ ـ فإن عدي بنفسه، فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.

٢ ـ وإن عدي بـ " في "، فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ وإن عدي بـ " إلى " فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾. فكيف إذا أضيف الى الوجه الذي هو محل البصر!.

وقد أوردها المؤلف في سياق الرد على أهل البدع، لما أنكروا الرؤية، وزعموا أن الآية تعني الانتظار، فأوضح أن الآية تعني النظر لأنها عُديت بإلى.

س ٢٤٣: هل لك أن تذكر بعض كلام السلف في إثبات الرؤية؟.

ج: ١ ـ روى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ ـ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ ـ قال: من البهاء والحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: في وجه الله ﷻ.

٢ ـ عن الحسن قال: نظرت إلى ربها فَنُظِّرَت بنوره.

٣ ـ وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها ﷻ.

٤ ـ وقال عكرمه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ ـ قال: من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله. وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

س ٢٤٤: استدل ببعض الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية؟.

ج: ١ ـ قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾. قال الطبري: قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله ﷻ.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن

ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة".

وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم، وروى ابن جرير ذلك عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة. ذكر الطبري وغيره عن المزني، عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فقال الشافعي: لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا.

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وهي من أظهر الأدلة على إثبات الرؤية، وقد سبق الكلام عليها آنفاً.

س ٢٤٥: اذكر آية واحدة تحتج بها المعتزلة وأهل البدع على نفي الرؤية، من القرآن الكريم؟.

ج: يحتجون بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، والآية دليل عليهم واستدل بها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوحٌ عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إني لا أُرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر، فظنه رجلٌ طعاماً، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح:

إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاماً، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟.

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقراً، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل، فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم (المعتزلة) سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته! ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يَسمَع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم تأبيد النفي بـ "لن" وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة. فكيف إذا أطلقت! قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ مع قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِى﴾. فثبت أن "لن" لا تقتضي النفي المؤبد.

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا

س ٢٤٦: من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وعلام استدل بها؟ فصل القول في ذلك؟.

(ج) استدلت بها المعتزلة على نفي رؤية الله في الآخرة، واستدل بها أهل السنة والجماعة على رؤيته تعالى في الآخرة. والاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض، فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بأذنه المتضمن كمال توحّده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان، وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإذن: المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن "الإدراك" هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾، فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما وجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك، كما يُعلم ولا يُحاط به علماً، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

س ٢٤٧: ما صحة أحاديث الرؤية التي يستدل بها أهل السنة والجماعة على إثباتها، واذكر بعضاً منها؟.

(ج) الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الدالة على الرؤية، متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن. فمنها:

١ ـ حديث أبي هريرة ﷺ: "أن أناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك". الحديث أخرجاه في الصحيحين بطوله. وحديث أبي سعيد الخدري أيضاً في الصحيحين نظيره.

٢ ـ وحديث جرير بن عبد الله البجلي، قال: "كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته". الحديث أخرجاه في الصحيحين. وحديث صهيب ﷺ المتقدم، رواه مسلم وغيره.

٣ ـ ومن حديث عدي بن حاتم ﷺ: "وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى يا رب" رواه البخاري.

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفةً يقطع بأن الرسول ﷺ قالها.

س ٢٤٨: كيف يقف المسلم على الصفات الإلهية؟.

ج: من أراد الوقوف عليها فليواضب، سماع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق.

س ٢٤٩: كيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام، مع الاستدلال؟.

ج: قال الشارح: وكيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله! وكيف يُفسر كتاب الله بغير ما فسره به رسول الله ﷺ وأصحاب رسوله، الذين نزل القرآن بلغتهم! وقد قال ﷺ: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، وفي رواية: "من قال في القرآن بغير

علم فليتبوأ مقعده من النار ". وسئل أبو بكر الصديق ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾، ما الأب؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

س ٢٥٠: يزعم من ينفي الرؤية أن الأحاديث التي أثبتت الرؤية فيها تشبيه، ويزعم من أثبتها أنه يرى لا في جهة، فبم يُرد عليهم؟.

ج: ليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن في هذا دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة! ومن قال: يرى لا في جهة!!، فليراجع عقله، فإما أن يكون مكابراً لعقله، أو أن يكون في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمه.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بغير جهة؟.

وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها، ضعف عن رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة، أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية المَلَكِ في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلوا أنزلنا إليه ملكاً، لجعلناه في صورة بشر، وحينئذٍ يشتبه عليهم: هل هو بشر أو مَلَك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا.

وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه، لكن قول من أثبت موجوداً يرى لا في جهة، أقرب إلى العقل

مِن قول من أثبت موجوداً قائماً بنفسه لا يُرى ولا في جهة.

س ٢٥١: بم يرد على من نفى الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة؟.

ج: يقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة: أتريد بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عدمياً؟.

فإن أردت بها أمراً وجودياً، كان التقدير:

كل ما ليس في شيء موجود لا يرى، وهذه المقدمة ممنوعة، ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة، فإن سطح العالم يمكن أن يُرى، وليس العالم في عالم آخر، وإن أردت بالجهة، أمراً عدمياً، كانت المقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه في جهة بهذا الاعتبار.

س ٢٥٢: من هم الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة وما حكم ذلك؟.

ج: الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة هم أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم، وقد حكموا العقل وأئمتهم من أهل البدع بدلاً من النصوص الشرعية فضلوا وأضلوا، وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان!، وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث رسول الله ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه. ومن لا يسلك سبيلهم، فإنه يتكلم برأيه، وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب والسنة، فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة، فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف له أجره.

س ٢٥٣: لم خصص الإمام الطحاوي أهل الجنة بالرؤية في قوله: "والرؤية حق لأهل الجنة "؟.

ج: تخصيص أهل الجنة بالذكر، يفهم نفي الرؤية عن غيرهم، ولا شك في

رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة، وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾.

س ٢٥٤: هل يرى أهل المحشر ربهم تعالى ؟.

ج: اختلف في رؤية أهل المحشر لربهم تعالى، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

الثاني: يراه أهل الموقف؛ مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

الثالث: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقيه الكفار. وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف.

س ٢٥٥: هل رأى أحد من الناس ربه في الدنيا بعينيه؟.

ج: اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة.

س ٢٥٦: اذكر الأقوال في رؤية محمد ﷺ ربه في الدنيا؟.

ج: اختلف الصحابة رضي الله عنهم، فمنهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه "الشفا" اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب.

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ رأى ربه بعينه، وروى عطاء عنه: رآه بقلبه، ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال:

وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطعٌ ولا نصّ، والمعوَّلُ فيه على آية النجم، والتنازع فيها مأثور، والاحتمال لها ممكن.

س ٢٥٧: هل رؤية الرب تعالى ممكنة في الدنيا؟.

ج: القول الذي ذكره القاضي عياض آنفاً بقوله: فليس فيه قاطع... إلخ.

هو الحق، فإن الرؤية في الدنيا ممكنه، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه رأى ربه بعين رأسه.

س ٢٥٨: ما القول الراجح في رؤيته ﷺ لربه في الدنيا؟.

ج: لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه. بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في "صحيحه":

١ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: " نور أنى أراه ". وفي رواية: " رأيت نوراً ".

٢ ـ وقد روى مسلم أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: " إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ وفي رواية النار ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ".

فيكون ـ والله أعلم ـ معنى قوله لأبي ذر: " رأيت نوراً ": أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: " نور أنى أراه ": النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه! أي: فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم.

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك.

ونحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى، فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها ألبته.

س ٢٥٩: لم قيد الطحاوي الرؤية بقوله: " بغير إحاطة ولا كيفية "؟.

ج: قيد الرؤية بقوله: " بغير إحاطة ولا كيفية " لكمال عظمته وبهائه سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار ولا تحيط به، كما يعلم ولا يحاط به علماً، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

س ٢٦٠: قال الطحاوي يرحمه الله: ". . لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا "، ما مقصود الإمام بالعبارة السابقة، وعلى من رد بها؟.

ج: مقصوده بها إثبات نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة كالرؤية والعلو وغيرها، وتفسيرها على ما أراد الله وعَلِمَه، وكل ما جاء عن رسول الله ﷺ وصح، فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة في الرؤية، وذلك تحريف لكلام الله وكلام رسوله عن مواضعه.

فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة، والفاسد المخالف له.

فكل تأويل بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق، ولا معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه، إذ لو قصده لحف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كتابه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحدٍ، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً، كان كذباً على المتكلم.

س ٢٦١: ما الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم؟ ولِمَ ذكر الشارح هذه الطرق؟.

ج: يعرف مراد المتكلم بطرق متعددة:

١ ـ منها: أن يصرح بإرادة ذلك المعنى.

٢ ـ منها: أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع، ولا يبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى، فكيف إذا حف كلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته وما وضع له، كقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾. و"إنكم ترون ربكم عياناً، كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب". فهذا مما يقطع السامع فيه بمراد المتكلم، فإذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع له مع القرائن المؤكدة، كان صادقاً في إخباره. وأما إذا تأول الكلام بما لا يدل عليه، ولا اقترن به ما يدل عليه، فإخباره بأن هذا مراده كذبٌ عليه، وهو تأويل بالرأي، وتوهم بالهوى.

وذكر الشارح هذه الطرق ليرد على المعتزلة وغيرهم من أهل البدع الذين أنكروا الصفات أو بعضها، ولم يردوا ما جاء عن الله ورسوله إلى ما أراد الله ورسوله، ودخلوا في ذلك متأولين بآرائهم متوهمين بأهوائهم، فأبان بهذه الطرق أن التأويل لنصوص الكتاب والسنة لم يدل عليه دليل من السياق، وليس معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده الهادي بكلامه، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كتابه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحدٍ، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً، كان كذباً على المتكلم. ثم أورد الشارح يرحمه الله الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم.

س ٢٦٢: ما حقيقة تأويل المؤولة (أهل التحريف) لنصوص الكتاب والسنة؟.

ج: حقيقة الأمر: أن قول القائل منهم ـ أي أهل التحريف ـ: نحمله على كذا

وكذا، أو نتأوله بكذا، إنما هو من باب دفع (ردّ) دلالة اللفظ عما وضع له، فإن منازعه (المثبت للصفات) لما احتج عليه به (بالدليل) ولم يمكنه دفع وروده (ثبوته)، دفع معناه، وقال: أحمله على خلاف ظاهره.

س ٢٦٣: بماذا يرد على أهل التحريف لو قالوا: إن النص لما ورد، ولا يمكن تعطيله، استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، على أن مجازه هو المراد؟.

ج: فإن قيل: إن اللفظ لما استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، ولا يمكن تعطيله، استدللنا بوروده وعدم إرادة ظاهره (التأويل) على أن مجازه هو المراد، فحملنا عليه دلالةً لا ابتداءً.

قيل: فهذا المعنى هو الإخبار عن المتكلم (الله ورسوله) أنه أراده، وهو إما صدق وإما كذب كما تقدم، ومن الممتنع أن يريد خلاف حقيقته وظاهره، ولا يبين للسامع المعنى الذي أراده، بل يقرن بكلامه ما يؤكد إرادة الحقيقة. ونحن لا نمنع أن المتكلم قد يريد بكلامه خلاف ظاهره، إذا قصد التعمية على السامع حيث يسوغ ذلك (التأويل)، ولكنّ المنكرَ أن يريد بكلامه خلاف حقيقته وظاهره إذا قصد البيان والإيضاح، وإفهام مراده!. كيف والمتكلم (الله ورسوله) يؤكد كلامه بما ينفي المجاز، ويكرره غير مرة، ويضرب له الأمثال.

س ٢٦٤: ما معنى قول الطحاوي: " فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه؟.

ج: أي: سَلّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو يقول: العقل يشهد بضد مادل عليه النقل! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!.

س ٢٦٥: هل يكون تعارض بين العقل والنقل؟ وما العمل إذا جاء ما يوهم مثل ذلك؟.

ج: التعارض بين العقل والنقل لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل

ذلك، فإن كان النقل صحيحاً، فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر، لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح، فلا يصلح للمعارضة. فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح، ونقل صحيح أبداً.

س ٢٦٦: ما الحكم إذا تعارض العقل والنقل؟.

ج: إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل، لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل، لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل، لزم ألا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً، لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل.

س ٢٦٧: ما الواجب على أهل العلم والعامة تجاه النصوص الشرعية؟.

ج: الواجب عليهم كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه أحد بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحمله شبهةً أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المُرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

س ٢٦٨: ذكر المؤلف توحيدين لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، ما هما ولم ذكرهما؟.

ج: التوحيدان اللذان لا نجاة للعبد إلا بهما، هما:

١ ـ توحيد المرسِل.

٢ ـ توحيد متابعة الرسول.

فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له، نفّذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة، فوضه إليهم، وأعرض عن أمره وخبره وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً، فقال: نؤوله ونحمله.

فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ـ ما خلا الإشراك بالله ـ خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح، يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخر قبوله والعمل به، حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة، وتلغى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبوله على موافقةِ فلان وفلان، كائناً من كان.

وذكرهما الإمام الشارح ليحاج بهما أهل البدع الذين يسلمون لأحدهما ولا يسلمون للآخر بل ينقصونه وبخاصة في باب العقائد.

س ٢٦٩: هات دليلاً واحداً من السنة في النهي عن الجدال في القرآن والنصوص الشرعية بلا علم وبغير دليل؟.

ج: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النَّعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حَجْرةً[1]، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: " مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على

(١) أي: في ناحية منفردين.

أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، وإنما يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه ".

س ٢٧٠: هات دليلين من القرآن في تحريم القول على الله بغير علم؟.

ج: لا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم.

١ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من سائر كلام الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم: هل خالفه أو وافقه، لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده لكن لم يعرف، هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه، فإنه يمسك عنه، ولا يتكلم إلا بعلم.

س ٢٧١: ما العلم النافع؟ وهل يجوز أخذ العلم من سائر الناس؟.

ج: العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون علم عن غير الرسول، لكن في الأمور الدنيوية، مثل الطب والحساب والفلاحة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه، العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا غير.

س ٢٧٢: ما معنى قول الإمام الطحاوي: " ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام "؟.

ج: هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شئ. أي: لايثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه، روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. وهذا كلام جامع نافع.